

## الرَّسَالَة ١٥

### عَلَاقَة الْأَخُوَّةِ.. وَكَيْفَ نَحْرَصُ عَلَيْهَا؟

(Arabic - We are brothers!)

أحبائي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: عِلَاقَة الْأَخُوَّةِ.. وَكَيْفَ نَحْرَصُ عَلَيْهَا؟

ومن سفر التكوين الأصحاح الثالث عشر نقرأ العدد الثامن:

" فقال أبرام للوط: لا تكن مُخَاصِمَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ. لَأَنَا نَحْنُ أَخَوَانُ".<sup>١</sup>

إنَّ خَيْرَ حِكْمَةٍ نَتَعَلَّمُهَا.. هِيَ الْحِكْمَةُ الَّتِي تَتَّبَعُ مِنْ تَجْرِبَةِ مَنْ التَّجَارَبُ الَّتِي عَشْنَاهَا أَوْ الْحِكْمَةُ الَّتِي نَسْتَخْلَصُهَا مِنْ اخْتِبَارِ اخْتِبَرَهُ رَجُلٌ حَكِيمٌ يَتَّقِي اللَّهَ.. وَنَحْنُ جَمِيعًا نَعْرِفُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ وَمَا سَجَلَهُ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ عَنْ حَيَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ وَصِلَتِهِ الْقَوِيَّةَ بِاللَّهِ.. وَيَطِيبُ لِي الْيَوْمَ أَنْ أَكْتُبَ عَنْ صِفَةِ رَائِعَةٍ نَادِرَةٍ تَحُلِي بِهَا أَبُونَا إِبْرَاهِيمُ.. وَيَا حَبِيبًا لَوْ أَصْبَحْتُ هِيَ الصِّفَةُ الْبَارِزَةُ فِينَا.. أَلَا وَهِيَ الْحِرْصُ عَلَى عِلَاقَةِ الْأَخُوَّةِ.. حَتَّى لَوْ كَلَفْنَا ذَلِكَ الثَّمَنَ الْبَاهِظَ.. وَإِنِّي أَرَى تِلْكَ الظَّاهِرَةَ.. وَهِيَ ظَاهِرَةٌ تَرَابُطِ الْأُسْرَةِ مَعًا.. عَمِيقَةً مُتَأَصِّلَةً بَيْنَ الشَّرْقِيِّينَ وَخَاصَّةً بَيْنَ مَنْ نَشَأُوا فِي رِحَابِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ.. وَلَكِنَّهَا عَمَلَةٌ صَعِبَةٌ بَيْنَ مَنْ نَشَأُوا نَشَأَةً غَرِبِيَّةً.. لِدَرَجَةِ أَنْكَ إِذَا وَجَدْتَهَا بَيْنَ أَخٍ وَأَخٍ أَوْ بَيْنَ أَخٍ وَأَخْتٍ.. فَالْمَوْسُفُ أَنْكَ قَدْ لَا تَجِدُهَا بَيْنَ الْإِبْنِ وَأَبِيهِ أَوْ بَيْنَ الْبِنْتِ وَأُمِّهَا.

إنَّ سفر التكوين يسجل بالأصحاح الثالث عشر.. أَنَّ مُشْكَلَةَ حَدِثَتْ بَيْنَ رِعَاةِ إِبْرَاهِيمَ وَرِعَاةِ لُوطٍ.. وَلَيْسَ ذَلِكَ بِمَسْتَعْرَبٍ بَعْدَ أَنْ بَارَكَ الرَّبُّ كُلًّا مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ وَأَعْدَقَ عَلَيْهِمَا.. وَلَقَدْ جَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ذَلِكَ الْقَوْلُ: "وَكَانَ أِبْرَامُ غَنِيًّا جَدًّا فِي الْمَوَاشِي وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ". اغْتَنَى الْاِثْنَانُ وَزَادَتْ ثُرُوتُهُمَا وَكَثُرَتْ مَوَاشِيَهُمَا.. وَمِنْ هُنَا حَدِثَتْ الْمَشْكَلَةُ.. وَلَكِنْ بِحِكْمَةٍ فَائِقَةٍ اسْتَطَاعَ إِبْرَاهِيمُ تَدْعِيمَ رَوَابِطِ الْأَخُوَّةِ وَتَثْبِيتَ دَعَائِمِ الْمَحَبَّةِ.. وَبِأَسْلُوبٍ يَتَسَمَّى بِالنَّبْلِ وَالتَّضْحِيَةِ.. لَيْتِنَا نَتَعَلَّمُهُ وَنَسْتَوْعِبُهُ وَنَمَارِسُهُ فِي حُلِّ مُشَاكَلَتِنَا الَّتِي تَحْدِثُ أَحْيَانًا بَيْنَ أَسْرِنَا أَوْ إِخْوَتِنَا أَوْ أَصْدِقَائِنَا.<sup>٢</sup>

وَلَقَدْ اعْتَادَ النَّاسُ السَّيْرَ عَلَى قَوَانِينِ وَقَوَاعِدَ لِإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ.. فَبِتِلْكَ الْقَوَانِينِ يَحْصُلُ الْفِرْدُ عَلَى حَقُوقِهِ.. وَلَكِنْ مَا أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْهُ هُوَ الْحِكْمَةُ الَّتِي تَحُلِي بِهَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ وَبِهَا تَفَادَى مُخَاصِمَةَ كَانَتْ عَلَى وَشَكِّ الْحَدُوثِ.. وَيَدُورُ حَدِيثِي حَوْلَ قَانُونٍ آخَرَ يَحْكُمُ بَيْنَ أَوْلَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْكُنُ فِيهِمْ رُوحُ اللَّهِ وَيُرْسِدُهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْأَفْضَلِ فِي التَّعَامُلِ.. ذَلِكَ الْقَانُونُ سَارَ بِمُوجِبِهِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ فِي حُلِّ مُشْكَلَتِهِ مَعَ لُوطِ ابْنِ أَخِيهِ.

هَذَا الْقَانُونُ لَيْسَ مِنْ وَضَعِ بَشَرٍ بَلْ وَضَعَهُ اللَّهُ وَهُوَ قَانُونُ الْمَحَبَّةِ.. وَكُلُّ مُؤْمِنٍ اخْتَبَرَ الْحَيَاةَ الْجَدِيدَةَ امْتَلَأَ قَلْبَهُ بِالْمَحَبَّةِ وَأَصْبَحَ تَعَامَلُهُ لَا يَتَجَاوَزُ قَوَانِينَهَا.. وَلَقَدْ وَضَعَ الرَّبُّ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ عِلَامَةً تَمَيِّزُهُمْ وَتَمَيِّزَ كُلِّ الَّذِينَ نَالُوا الْحَيَاةَ الْجَدِيدَةَ إِذْ قَالَ لَهُمْ: "بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنْكُمْ تَلَامِيذِي إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ". أَمَّا نَصُوصُ قَانُونِ الْمَحَبَّةِ فَقَدْ سَجَلَهَا بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى مُؤْمِنِي كُورِنْثُوسِ الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ عَشَرَ بِتَفْصِيلٍ كَامِلٍ وَبِدَقَّةٍ مِتْنَاهِيَّةٍ.. هَذِهِ بَعْضُ نَصُوصِهِ: "الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ وَلَا تَتَنَفَّخُ وَلَا تَقْبَحُ وَلَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا وَلَا تَحْتَدُّ وَلَا تَظُنُّ السُّوءَ.. وَلَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ وَتَصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ". وَتَزْدَانُ تِلْكَ اللَّائِي بِتِلْكَ الْآيَةِ الذَّهَبِيَّةِ "الْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا"<sup>٣</sup>

وَفِي كَلِمَاتِ إِبْرَاهِيمَ لِابْنِ أَخِيهِ يَشْعُ نُورُ الْمَحَبَّةِ بِكَامِلٍ بِهَاتِهِ إِذْ يَقُولُ: "لَا تَكُنْ مُخَاصِمَةً". وَمَا الْحُلُّ يَا إِبْرَاهِيمَ لِكَيْ لَا تَحْدُثَ الْمَخَاصِمَةُ؟. وَكَأَنِّي بِهِ يَجِيبُنَا بِقَوْلِهِ: بِقَانُونِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي لَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا.. فَلْيَضِيقِ الْمَكَانَ وَاتَسَاعِ الْمَمْتَلِكَاتِ يَعْطَى إِبْرَاهِيمَ (وَهُوَ الْأَكْبَرُ) لِابْنِ أَخِيهِ (وَهُوَ الْأَصْغَرُ) حَقَّ الْاِخْتِيَارِ.. وَبِكُلِّ ارْتِيَاخٍ.. وَبِمُودَةٍ

استمع إلى الإنجيل

<sup>١</sup> سفر التكوين ١٣: ٨ ،

<sup>٢</sup> سفر التكوين ١٣: ٢

<sup>٣</sup> إنجيل يوحنا ١٣: ٣٥ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمني كورنثوس ١٣: ٨

صادقة يقول لابن أخيه: "إن ذهبتَ شمالاً فأنا يميناً.. وإن يميناً فأنا شمالاً". ما يريح أخاه أولاً.. ثم ما يريجه يأتي ثانياً.. كان الهدفُ الذي يتطلعُ إليه إبراهيم يتلخصُ في كلمات كاللألى تفوه بها إبراهيم: "لا تكنُ مخاصمة بيني وبينك وبين رعاتي ورعاتك لأننا نحن أخوان!". "تفاحٌ من ذهبٍ في مصوغٍ من فضةٍ كلمة مقولة في محلها"<sup>١</sup>.

لسنا بصدد ما اختاره لوط لنفسه وكيف أساء الاختيار.. ولكن محور حديثنا هو قانون المحبة.. وكيف يطبقُ.. "حرية الاختيار لأخي.. ما يريح أخى أحرصُ عليه أولاً. ثم ما يريحنى يأتي ثانياً. شعارنا: نحنُ أخوان". وما أريدُ أنْ أؤكدَ عليه الآن في حديثي هذا.. أن أعمالَ المحبة تجدُ جزاءً حسناً.. وتأييداً ورفعةً من الله عزَّ وجلَّ.. "لا ينتظرُ الربُّ كثيراً حتى يكافئَ أولاده نظير ما يُظهرونه من أعمالٍ تمجدُ اسمه".. وما نحنُ نرى الربَّ يكافئُ إبراهيم خليله. إذ قال الربُّ لأبرام بعدَ اعتزال لوط عنه: "ارفعُ عينيكَ وانظرُ من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً.. لأن جميعَ الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد وأجعلُ نسلك كتراب الأرض. حتى إذا استطاع أحد أن يعدَّ ترابَ الأرض فنسلك أيضاً يُعدَّ. قم امش في الأرض طولها وعرضها. لأني لك أعطيها.. فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون.. وبنى هناك مذبحاً للربِّ"<sup>٢</sup>.

إن كان إبراهيم الخليل مثلاً رائعا يُحتذى.. فيوسف الصديق في تسامحه مع إخوته مثل آخر يُقتدى به. فيفسر التكوين جاء عنه قوله لإخوته حين عرفهم بنفسه في مصر: "والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعثتموني إلى هنا لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم".. إن يوسف بحبٍ أخوي نقي وبقلب غافر صفوح لا يقبل حتى أن يتأسف له إخوته عما بدرَ منهم!.. لا يقبل أن مشاعرَ الندم تعكرُ صفو أحلى لقاء.. لا يقبل أن الخطأ الذي ارتكبه في الماضي يشوه أجملَ صورة لإخوة اجتمعوا بعد فراق طويل.. "فما أحسنَ وما أجملَ أن يسكنَ الإخوة معاً"<sup>٣</sup>.

يسجلُ الوحيُ بسفر التكوين الأصحاح السابع والثلاثين قصة يوسف الصبي الصغير وقد أرسله أبوه بطعام شهى لإخوته في الحقل. فإذا بالصبي الصغير يرى الشرَّ في عيونهم.. لقد ملكَ شيطانُ الحسد والكراهية والشرَّ قلوبَ إخوته فجردهم إنسانيتهم.. فإذا بهم يجردونه من ثوبه الملوّن.. كان في نيّتهم أن يقتلوه وصرخ مستغيثاً فما لانت قلوبهم لولا أن أخاه رؤبين أبطل مكيدتهم وقال: "لا نقتله لا تسفكوا دماً.. اطرحوه في هذه البئر الفارغة".. وفي غفلةٍ من أخيهم رؤبين باعوا يوسف أخاهم لتجار إسماعيليين وقبضوا ثماناً له عشرين من الفضة!

إن رجلَ الله يرى الأمورَ بعين تختلف.. فبالرؤية العادية وباستخدام قوانين وقواعد العرف السائد نرى أن إخوة يوسف صنعوا به شراً.. فمن حقّ يوسف أن يطالبَ بعقابهم لينالوا جزاءً عادلاً نظيرَ الشرِّ الذي صنعوه معه.. ولكن باستخدام الحكمة الإلهية النازلة من فوق اختلفت الرؤية.. فقال يوسف لإخوته: "لا تتأسفوا.. أنتم قصّدم لي شراً. أما الله فقصدَ به خيراً. فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله. وهو قد جعلني أباً لفرعون وسيّداً لكلِّ بيته ومتسلطاً على كلِّ أرض مصر". ثم نقرأ هذه الكلمات المؤثرة: "وقبلَ جميعِ إخوته وبكى عليهم". عزيزي القارئ.. ألا ترى معي أن هناك قانوناً آخر يتسامى على القوانين التي وضعها البشر.. ألا وهو قانون: "المحبة التي لا تسقط أبداً".. استخدمه كلٌّ من إبراهيم الخليل ويوسف الصديق. ولكن إن كان إبراهيم مثلاً رائعاً يُحتذى.. ويوسف في تسامحه مع إخوته مثل آخر يُقتدى به.. فيسوع المسيح هو المثلُّ الأعظم فقد أحبنا فضلاً أحبنا ونحن بعدُ خطاة ومات من أجلنا: "ليس لاحدٍ حبٌ أعظم من هذا.. أن يضعَ أحدٌ نفسه لأجل أحبائه"<sup>٤</sup>.

ليتك أخي ترفع قلبك مصلياً معي: أبانا السماوي.. علمني كيف أحب إخوتي.. المحبة التي تتأني وترفق.. المحبة التي لا تحسد.. المحبة التي لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تتعج ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظنّ السوء ولا تفرح بالإنثم بل تفرح بالحق وتحتمل كلَّ شيء وتصدق كلَّ شيء وترجو كلَّ شيء وتصبر على كلَّ شيء. أرفعُ صلاتي في اسم يسوع الذي أحبني فضلاً.. واثقاً أنك تستجيب طلبتي يا مَنْ قلت: مَنْ يُقبل إلى لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردتَ سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

<sup>١</sup> سفر الأمثال ٢٥: ١١

<sup>٢</sup> سفر التكوين ١٣: ١٤ - ١٨

<sup>٣</sup> سفر التكوين ٤٥: ٥

<sup>٤</sup> سفر التكوين ٥٠: ٢٠ & ٤٥: ٨ & ١٥ ، إنجيل يوحنا ١٥: ١٣